



الظروف الصعبة اختبار شاق يمر بالمرء ، تظهر فيه صفاته الحقيقية ، وخفاياه الدفينة ، كما تظهر فيه قدراته الكامنة وإمكاناته المخبوءة، والمرء في مواجهة الظروف الصعبة يحتاج قلبا مطمئنا ، وعقلا ناضجا ، ونفسا هادئة سوية .

ويختلف الناس امام ظروفهم الصعبة بحسب قلوبهم هل هي قريبة من الله سبحانه أو بعيدة ، وعقولهم ، هل هي ناضجة أو هامشية ، ونفوسهم هل هي هادئة سوية أم أنها نافرة مضطربة !

فالمرء الذي يعود إلى ربه في أزماته ويتوكل عليه سبحانه في حلها ، ويرجوه ويلج في دعائه أن يفرجها عنه واثقا في ذلك وموقنا به ومسلما أمره له سبحانه فهو الأجدر أن تحل مشكلاته وينجو من أزماته .

والذي يلتفت إلى الماديات بعيدا عن ربه سبحانه ، ويظن أن الحياة المادية تكفيه في حل مشكلاته ومواجهة ظروفه الصعبة فهو مغرور ما يلبث أن يفجع في نفسه وفي دنياه ، قال سبحانه : " مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُدْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ،، "

إن القلب مطمئن الذي تملؤه السكينة الإيمانية يتلقى الأزمات بثبات وهدوء ، فهو يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه، فهو راض بقضاء ربه سبحانه ، صابر صبيرا جميلا.

أما القلب المكدوس في الدنيا وزخرفها فهو يعتصر ألما عند المشكلات ويحترق غيظا إذا ما أصابته مصيبة فيما يراه من مكتسباته مما أنفق فيه زهرة حياته ، فهو مصدوم مشلول الحركة تجاه مصائبه وأزماته ، أو أنه متخبط متردد نائر تائه !

وفي الحديث لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم امرأة تبكي ابنا بكاء شديدا وتصرخ قال لها : " اتق الله واصبري " .. " إنما

الصبر عند الصدمة الأولى " أخرجهم مسلم

وفي الحديث أيضا " ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله به ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتني ، واخلف لي خيرا منها ، إلا أخلف الله له خيرا منها " أخرجهم مسلم

الرؤية الصائبة للآزمة عامل آخر مهم للغاية ومؤثر في صحة حلها أو مواجهتها ، وصوابية الرؤية تؤدي إلى صوابية الحل ، فكثير من الناس يصاب بتشويش الرؤية فلا يرى الأمور على حقائقها ، وقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول في دعائه " اللهم أرني الحق حقا وارزقني اتباعه وارني الباطل باطلا وارزقني اجتنابه "

فانظر إلى الآزمة التي تمر بك من أعلاها لا من جانبها ، فصفها لنفسك وصفا دقيقا بغير تهويل ولا تهوين ، واعرف أطرافها جيدا ، والعوامل المؤثرة فيها ، ومدى أثرها المتوقع عليك وعلى من حولك ولا تفتح لنفسك مجالاً لتداخل الرؤى بين ما يمر بك من مؤثرات أخرى وبين مشكلتك .

الجانب الأهم في المواقف الصعبة هو أن نواجه مشكلاتها ولا نهرب منها ، وأقصد بمواجهتها وضعها على طاولة التفكير والنظر والبحث لدراستها دراسة جيدة ، فالذين يهربون من مواجهة مشكلاتهم تظل مشكلاتهم وأزماتهم بغير حل أو انقضاء ، بل إن بعضهم يظل قيد مشكلته حتى بعدما تنقضي المشكلة .

والبعض يلحق به أذى مرضي سواء أكان نفسيا أو عضويا بسبب عدم مواجهة مشكلته أو الانزواء عنها أو الخوف من مواجهتها ، فتجد كثيرا من أمراض الاكتئاب وكثرة النوم والانطواء سببه ضغط الآزمات وعدم الرغبة في مواجهتها .

وبدلاً من تضييع وقتك وجهدك تأسفاً على ما حدث لك ، وسقوطك في التيه النفسي تقلباً في أحداث ما أصابك ، فأولى لك أن تتفكر في أسباب ما حصل لك ، فإن كان أمراً قدرباً ليس لك فيه دور فعليك بقبوله والصبر عليه ، وسؤال الله التثبيت لنفسك و فإنما هو ابتلاء يبتلي الله سبحانه به عباده و عليك أن تدرب نفسك على تقبله .

وإن كانت آزمة ذات جذور فتفكر في أسبابها ، فالتفكير في الأسباب جزء من التفكير في الحل ، والموفق من وفقه الله إلى مسببات الأشياء فتوكل على الله في الأخذ بأسبابها .

ومن الحكمة في مواجهة الآزمات أن تضع لها حلولاً مختلفة ، وألا تقتصر على حل واحد ، بل إن بدائل الحلول هي كلمة السر في حل الآزمات ، وكلما كان البديل واقعياً وقريباً من الإمكانيات والقدرات كلما كان أقرب للتطبيق . ويجب أن تعلم نفسك أنك إذا اخترت حلاً بديلاً وبدأت فيه فأياك أن تتردد ، بل سر فيه مادمت قد اتخذت خطواتك سليمة كما بينا لك . (من المهم دراسة مواقف النبوة في الاختيار والحزم عند القرار وعدم التردد بعد الوصول للحلول – موقفه في أحد كمثال)

و بعد تفنيد أسباب ما تواجهه , ووصفه وصفا دقيقا بعيدا عن التوتر , ووضع خيارات الحلول الذاتية , جاء الدور على استشارة أهل الخبرة والعلم , فاستشارتهم تضيف علما إلى علمنا وخبرة إلى خبرتنا في مواجهة الأزمة , ثم علينا أن نضيف آراءهم وما تفضلوا به من اقتراحات ورؤى إلى ما سبقناهم فيه ثم نضع وصفا جديدا وصورة نهائية للآزمة وحلها .

وتأتي استشارة الله العظيم سبحانه قبل الهموم والبدء بالعمل وبالحل كأمر أساسي ومبارك في حل الأزمة ومواجهتها , بل أنا دائما أنظر إلى الاستشارة وكأنها بوصلة في الطريق توجهنا نحو هدف مرجو صحيح .

المصادر:

المسلم